

مؤتمر الشبيبة المسيحية للشرق الأوسط

تشكّل ووحدة الجماعة الكنسية
حول الافخارستيا

المطران د. بولس يازجي

متروبوليت حلب والاسكندرون وتوابعهما للروم الأرثوذكس

P.B. 6976 ALEPPO – SYRIE - TEL: + 963 21 4660670 - FAX: + 963 21 4660671

-WEBSITE: WWW.ALEPPORTHODOX.ORG E-MAIL: SECRETARY@ALEPPORTHODOX.ORG

حلب ٢٠٠٧

تشكلّ ووحدة الجماعة المسيحية حول الافخارستيا^١

قراءة إنجيلية (رؤيا ٥)

"^١ وَرَأَيْتُ عَلَى يَمِينِ الْجَالِسِ عَلَى الْعَرْشِ سِفْرًا مَكْتُوبًا مِنْ دَاخِلٍ وَمِنْ وِرَاءِ، مَخْتُومًا بِسَبْعَةِ خُتُومٍ. ^٢ وَرَأَيْتُ مَلَكًَا قَوِيًّا يُنَادِي بِصَوْتٍ عَظِيمٍ: «مَنْ هُوَ مُسْتَحِقُّ أَنْ يَفْتَحَ السِّفْرَ وَيُفَكَّ خُتُومَهُ؟» ^٣ فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ فِي السَّمَاءِ وَلَا عَلَى الْأَرْضِ وَلَا تَحْتَ الْأَرْضِ أَنْ يَفْتَحَ السِّفْرَ وَلَا أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ. فَصِرْتُ أَنَا أَبْكِي كَثِيرًا، لِأَنَّهُ لَمْ يُوْجَدْ أَحَدٌ مُسْتَحِقًّا أَنْ يَفْتَحَ السِّفْرَ وَيَقْرَاهُ وَلَا أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ. فَقَالَ لِي وَاحِدٌ مِنَ الشُّيُوخِ: «لَا تَبْكُ. هُوَذَا قَدْ غَلَبَ الْأَسَدُ الَّذِي مِنْ سِبْطِ يَهُوذَا، أَصْلُ دَاوُدَ، لِيَفْتَحَ السِّفْرَ وَيُفَكَّ خُتُومَهُ السَّبْعَةَ».

^٤ وَرَأَيْتُ فَإِذَا فِي وَسَطِ الْعَرْشِ وَالْحَيَوَانَاتِ الْأَرْبَعَةِ وَفِي وَسَطِ الشُّيُوخِ حُرُوفٌ قَائِمَةٌ كَأَنَّهُ مَذْبُوحٌ، لَهُ سَبْعَةُ قُرُونٍ وَسَبْعُ أَعْيُنٍ، هِيَ سَبْعَةُ أَرْوَاحِ اللَّهِ الْمُرْسَلَةِ إِلَى كُلِّ الْأَرْضِ. ^٥ فَأَتَى وَأَخَذَ السِّفْرَ مِنْ يَمِينِ الْجَالِسِ عَلَى الْعَرْشِ. ^٦ وَلَمَّا أَخَذَ السِّفْرَ حَرَّتِ الْأَرْبَعَةُ الْحَيَوَانَاتُ وَالْعِشْرُونَ شَيْخًا أَمَامَ الْخُرُوفِ، وَلَهُمْ كُلٌّ وَاحِدٌ قِيَنَارَاتٌ وَحَامَاتٌ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءَةٌ بِخُورًا هِيَ صَلَوَاتُ الْقَدِيسِينَ. ^٧ وَهُمْ يَتَرَنَّمُونَ تَرْنِيمَةً جَدِيدَةً قَائِلِينَ: «مُسْتَحِقُّ أَنْتَ أَنْ تَأْخُذَ السِّفْرَ وَتَفْتَحَ خُتُومَهُ، لِأَنَّكَ ذُبِحْتَ وَاشْتَرَيْتَنَا لِلَّهِ بِدَمِكَ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ وَلِسَانٍ وَشَعْبٍ وَأُمَّةٍ، ^٨ وَجَعَلْتَنَا لِإِهْنَاءِ مَلُوكًا وَكَهَنَةً، فَسَنَمْلِكُ عَلَى الْأَرْضِ». ^٩ وَنَظَرْتُ وَسَمِعْتُ صَوْتَ مَلَائِكَةٍ كَثِيرِينَ حَوْلَ الْعَرْشِ وَالْحَيَوَانَاتِ وَالشُّيُوخِ، وَكَانَ عَدَدُهُمْ رَبَّوَاتِ رَبَّوَاتٍ وَأُلُوفُ أُلُوفٍ، ^{١٠} قَائِلِينَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ: «مُسْتَحِقُّ هُوَ الْخُرُوفُ الْمَذْبُوحُ أَنْ يَأْخُذَ الْقُدْرَةَ وَالْغِنَى وَالْحِكْمَةَ وَالْقُوَّةَ وَالْكَرَامَةَ وَالْمَجْدَ وَالْبَرَكَاتِ!». ^{١١} وَكُلَّ خَلِيقَةٍ مِمَّا فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الْأَرْضِ وَتَحْتَ الْأَرْضِ، وَمَا عَلَى الْبَحْرِ، كُلٌّ مَا فِيهَا، سَمِعَتْهَا قَائِلَةً: «لِلْجَالِسِ عَلَى الْعَرْشِ وَلِلْخُرُوفِ الْبَرَكَاتُ وَالْكَرَامَةُ وَالْمَجْدُ وَالسُّلْطَانُ إِلَى أَبَدِ الْأَبَدِينَ». ^{١٢} وَكَانَتْ الْحَيَوَانَاتُ الْأَرْبَعَةُ تَقُولُ: «آمِينَ». وَالشُّيُوخُ الْأَرْبَعَةُ وَالْعِشْرُونَ حَرُّوا وَسَجَدُوا لِلْحَيِّ إِلَى أَبَدِ الْأَبَدِينَ".

^١ مداخلة ألقىت في مؤتمر الشبيبة المسيحية للشرق الأوسط، حلب ٢٠٠٧.

مقدمة

نتوقف عند بعض حقائق هذه الصورة التي يرسمها النص السابق من سفر الرؤيا. أولاً الخروف المذبوح، وثانياً اجتماع كلّ الخليقة التي صارت ترفع تسبحة واحدة (كما في القديس: لكي بضم واحدٍ وقلبٍ واحدٍ ندعو الله أباً)؛ وثالثاً الاجتماع ذو الطابع الليتورجي الواضح (السجود، التسايح والحمل الذبيح).
ضمن هذه المعطيات الثلاث (أي ذبيحة المسيح، الوحدة، الليتورجيا) يفتح الحملُ السفرَ - سفرَ التاريخ، أي يستطيع تفسيره، أي إعطائه معنى. إنه التاريخ المقدس، كزمن لعمل الله الخلاصيّ مع شعبه.

I . تعريف

١ . الليتورجيا

الليتورجيا هي (عمل الشعب) $\Lambda\omicron\varsigma - \acute{\epsilon}\rho\gamma\omicron$ وتعني طبيعة العلاقة التي بينها الإنسان مع من حوله: الله والكون والقريب. ما هي نظرة وتعريف كلّ هذه الأطراف الواحد للآخر؟ ما هي نظرة الله إلى الإنسان؟ وما هي نظرة الإنسان إلى الله؟ وأين تقع الخليقة بينهما؟
الإنسان بالنسبة لله، هو السيد الذي أبداع العالم كلّ من أجله، ليبيّن منه ملكوتاً مع الله. الله بالنسبة للإنسان، هو الواهب الذي يستحقّ الشكر دوماً. والليتورجيا هي هذه العلاقة المتبادلة بين الله والإنسان عبر الخليقة والقريب^٢، إنها عمل الإنسان الكوني والشامل.

٢ . الافخارستيا^٣

سرّ أسسه المسيح في العشاء السريّ، يتحوّل فيه الخبز والخمر إلى الجسد والدم الحقيقيين للرب، فيصير من يتناولهما "σύσωμος" (عضو في جسد المسيح)، حياةً أبديةً وغفران الخطايا. هكذا يتحد أيضاً الجميع مع بعضهم البعض، إذ يصيرون جميعاً "σύσωμοι, σύνναιμοι, χριστοφόροι" (من جسدٍ واحدٍ، من دمٍ واحدٍ، حاملو المسيح): "أما نحن المشتركين في الخبز الواحد والكأس الواحدة فقد جعلنا جميعاً متحدين بعضنا ببعض في شركة روحٍ قدسٍ واحدٍ"^٤.

^٢ المطران بولس يازجي، السائحان بين الأرض والسماء، منشورات مطرانية بصرى حوران وجبل العرب والجولان، ٢٠٠٥، ص ١٦٣.

^٣ *ΘΗΕ*, τ.5, σ.118.

^٤ كيرلس الأورشليمي، [Κατήχηση 4, 3, PG 33, 1100].

Καρμίρη, Ιω., *Τα Δογματικά και Συμβολικά Μνημεία της Ορθοδόξου Καθολική Εκκλησίας*, τ.Α', Αθήνα 1960, σ.304.

^٥ قداس باسيليوس.

تتعدّد تسميات هذا السرّ، فحيناً يرد باسم الافخارستيا (الشكر)، ويردّ مراتٍ باسم: مائدة المحبّة، الشركة، الاتحاد، كأس الحياة... وباللغة اليونانية:

Ευχαριστία, Αγάπη, Κοινωνία, Ένωσις, Ποτήριο Ζωής, Ποτήριο Ευλογίας⁶, Μυσταγωγία,...

ومن الرموز التي تشير إلى الافخارستيا: الفصح، المنّ، تقدمة ملكيصادق...

التسمية Ευχαριστία: سرّ الشكر ترد منذ زمن العهد الجديد⁷ ومن ثم في التقليد الآبائي منذ وقت

مبكر⁸.

٣. الكنيسة: شركة أسرارية - شركة قديسين

ليست الكنيسة مجرد جماعة تقرأ عن المسيح، وليست منظمة اجتماعية ولا حتى جماعة مواهبية! الكنيسة هي (Θεανδρικό Σώμα) جسد إلهي بشري: إنها حضور الله في حياة الإنسان، هي اجتماع الناس ليظهر المسيح لهم وفيهم. وهذا ما يظهر في المعمودية: "أنتم الذين بالمسيح اعتمدتم المسيح قد لبستم". الجماعة كظهور للمسيح تصبح العالم الجديد "Καινή κτίσις" عكس العالم الذي طلق الحضرة الإلهية. الكنيسة هي الجماعة المستمرة في العمل مع مواهب الرّوح القدس. الكنيسة هي العالم الذي يصير بالرّوح القدس وخاصة في سرّ الشكر الإلهي في شراكة عضوية مع المسيح.

أسرار الكنيسة ليست "نشاطاً" (action - Πράξις)، والكنيسة ليست مظهراً أو مكاناً لها. الكنيسة

وأسرارها هي التي تصنع طريقة وجود الإنسان وغايته (être - εἶναι).

الكنيسة تبشّر وتعظ وتعلّم وتنشط، ولكن عملها الأساسي الذي فيه تنصبّ كلّ النشاطات السابقة هو "توبة الإنسان" وتقديس حياته. القداسة تعني تماماً أن نحيا ونتحرك في العالم مع الله وليس بدونه، أن نتناول العالم كما هو، بعمله ومادته وحضارته وصعوباته ونجعله قرباناً نرفعه "تقدمة" (Αναφορά) إلى الله. الإنسان ليس مستخدم الكون وإنما كاهنه. الكنيسة تبدّل، ليس تصرفات الإنسان في بعض مظاهرها بحيث تتناسب وشرط أخلاقي معين، وإنما تبدّل فيه ما يخصّ معنى وجوده. العالم ليس شراً. العالم وجدّ ليكون خيراً. لكنّ المسألة في "كنسيّة" رؤيتنا للعالم، أن نتعامل معه كقربان أم كغاية؟ المسيحية ليست إيماناً عقلياً، إنها موقف جديد في فهم معنى الحياة وغاية الوجود، إنها منظار لا يبذل الأشياء ولكن يقرأ استخدامها برؤيته الحقيقية، بحيث يجد في كلّ شيءٍ حقلاً للتعامل ليس مع الأشياء ولكن مع الله. الكنيسة بأسرارها تحقق هذا الدور، وخاصة في الافخارستيا.

⁶ باسيلوس الكبير، [PG 61, 199-200]

⁷ متى ٢٦، ٢٧. مر ١٤، ٢٣. لو ٢٢، ١٩. ٢٢. ١ كور ١١، ٢٤.

⁸ إغناطيوس المتوشح بالله، فلادلفيا ٤، ٤؛ ١؛ إزمير ٧، ١. يوستين A'، ٦٥، ٦٦. ايريناوس، ضد الهرطقات ٥، ٢.

كلّ شيء يجب أن يُقرأ من هذا المنظار. التقدمة في سرّ الشكر هي غاية كلّ ما هو ديناميكي في حياتنا. نحن كهنة الرب وفي سرّ الشكر نقدّم له عملنا في العالم ونقدّم العالم إليه.

لذلك لا يعرف سرّ الشكر "حاضرين" وإثما "مشاركين"، والكنيسة في حياتها الأولى عرفت المناولة الجماعية، (على الأقل حتى القرن الرابع). عدم التقدّم إلى الكأس المقدّس كان يعني في الكنيسة ليس انقطاعاً ولكن حتى قطيعة. وكانت هناك قوانين قاسية (يفرز من لا يتقدم للمناولة لمدة ٣ أسابيع^٩). فالاشتراك إذاً في الكأس المقدسة أو الإحجام عنها ليس مجرد موقف استحقاق أو إعراض شخصي، بل هو موقف اتحاد بالجسم كلّهُ أو انقطاع عنه. ومن هنا كان منع المؤمن في الكنيسة عن القربان ليس حرماناً منه وحسب، بقدر ما كان فرزاً وقطيعة عن الشركة مع أعضائها.

لعلّ مفهوم هذه الشركة والوحدة التي تتمّ في الكأس المقدسة هو مفهوم يحتاج لإحياء بعد عقود من الغياب. إنّ الإيمان والكنيسة والافخارستيا هم حقيقة واحدة مثلثة^{١٠}.

العبرة "خارج الكنيسة لا يوجد خلاص"، لها معنى كنائسي، أي من لا يتناول لا يخلص، أي المسيحي وحده لا يخلص. المسيحي وحده ليس مسيحياً.

وُلدت الكنيسة بشكل افخارستي، من جنب المسيح^{١١}، حين طُعن بحربة، وخرج للوقت دم (سرّ الشكر) وماء (سرّ المعمودية)^{١٢}.

لقد وُلدت الكنيسة من جنب المسيح كما وُلدت حواء من جنب آدم^{١٣}.

إنّ اسم الكنيسة، حتى القرون الثلاثة الأولى، كان يعني بالأساس اجتماع المؤمنين في الافخارستيا^{١٤}، هؤلاء يشكّلون "الكنيسة" أو "كنيسة الله". لهذا في (١ كور ١١، ١٧-٢٢)، قبل رواية العشاء السريّ يظهر واضحاً أنّ المقصود في أن يجتمعوا معاً: "ἐπί τὸ αὐτό" كان إقامة سرّ الشكر معاً - الافخارستيا، وليس مجرد الاجتماع: "كلّما أكلتم من هذا الخبز وشربتم من هذه الكأس تحيرون بموت الرب إلى أن يجيء"^{١٥}.

إنّ الأسرار تصنع الكنيسة (خاصةً سريّ المعمودية والشكر)^{١٦}. والكنيسة في صورتها الكاملة، هي الشعب حول الأسقف^{١٧}. إنّ سرّ الكنيسة يأخذ شكله الأبهى في سرّ الافخارستيا.

^٩ Ελβίρας 22, Τρούλλω π', Σαρδικής 11.

^{١٠} شميم الكسندر، الافخارستيا، تعريب سامر عبود، منشورات النور، بيروت ١٩٩٣، ص ٢١٢.

^{١١} Zizioulas, John D., *Being As Communion*, St Vladimir's Seminary Press, NY 1997, p.148.

^{١٢} باسيليوس الكبير، [PG 59, 463].

^{١٣} باسيليوس الكبير، [PG 51, 299].

^{١٤} Zizioulas, op.cit., p.148.

^{١٥} ١ كور ١١، ٢٦.

^{١٦} أوغسطين، [De civ Dei 22, 17, PL 41, 779].

^{١٧} *Catechism of the Catholic Church*, ed. Geoffrey Chapman, Villiers House, London 1949, p.262.

المنالولة هي محور وغاية الحياة المسيحية. "عدم الاستحقاق" الذي يتكلم عنه بولس الرسول^{١٨}، لا يعني حالة لأخلاقية وحسب، وإنما يقصد بالذات الاستهتار بالسّر. كلنا أخلاقياً تحت الدّين. والمستحق ليس الطاهر إنما هو المستعدّ والمتشوّق. كلنا مرضى والمستحق هو من يقبل العلاج. الاستحقاق بالنهاية هو الانسحاق. وعدم الاستحقاق هو الاستهتار.

بعد العنصرة تتحقّق الكنيسة ليس في اجتماع المؤمنين وحسب، وإنما في العشاء السريّ. كلّ الطقوس رُتبت لكي تكون تهيئةً وتدريباً من أجل العشاء الافخارستيّ.

بحسب الآباء، ملأ آدم الممزّق من جراء الخطيئة الأرض من المبعثرين (قصة قايين وهابيل على المستوى العائلي، وقصة برج بابل على المستوى الجماعي). يأتي المسيح ويجمع الجميع إلى واحد. وفي سرّ الشكر الإلهي في الكنيسة يصير الجميع جسداً واحداً.

الله يجمع إلى واحد، والشيطان بالعكس يبدّد. العمل الإلهي يوحد والعمل الشيطاني يفرّق. عندما سأل يسوع الشيطان عن اسمه في حادثة إخراج الشيطان عند الجدريين أحابه قائلاً: "اسمي لجيون لأننا كثيرون"، فالاسم هو واحد لكنهم عديدون. وهكذا كشف الشيطان عن طبيعته. على عكسه يصرخ بولس الرسول "فإننا نحن الكثيرون" نصير "خبزاً واحداً جسداً واحداً" لأننا جميعاً نشترك في الخبز الواحد^{١٩}. نعم في سرّ الشكر يجتمع الجميع، ويكوّنون جسد المسيح الواحد. هذا هو عمل الكنيسة، عكس عمل الشيطان. الكنيسة تجتمع والشيطان يفككك.

تولّد الكنيسة من المسيح وتتغذى منه: "أولئك الذين ولدتهم المسيح - في سرّ المعمودية - يغذيهم هو من نفسه"^{٢٠}. هذا الغذاء الإلهي يبني الكنيسة ويرزها جسد المسيح: "بجسد المسيح نتغذى نحن المؤمنون، وبه نصير واحداً. وقد صرنا جسد المسيح الواحد وبشّرتة الواحدة"^{٢١}. الكثيرون، بالخبز الواحد، المسيح، يؤلّفون جسداً واحداً هو الكنيسة. هكذا، فإنّ كلّ اجتماع شكري هو اجتماع الكنيسة قاطبة، لأنّ سرّ الشكر هو سرّ المسيح.

الخبز والخمر يشكّلان رمزاً لوحدة جسد المسيح المقدس (أي الكنيسة) والتّمام أعضائه حوله. ويسأل الذهبي الفم: ما هو الخبز؟ ويجيب: "إنه جسد المسيح وما يصح عليه المشتركون فيه، أعني المسيح". ويتابع: "ليسوا هم أجساداً عديدة، بل جسداً واحداً. لأنه كما أنّ الخبز يتكوّن من حبّات قمح عديدة هو واحد

^{١٨} ١ كور ١١، ٢٩.

^{١٩} ١ كو ١٠، ١٧.

^{٢٠} باسيليوس الكبير، [EIIIE 30, 394-396].

^{٢١} يوحنا الذهبي الفم، [EIIIE 12, 214].

وليس بمقدور المرء تمييز حبات القمح التي يتكوّن منها... هكذا نحن، نتحد ببعضنا البعض ومع المسيح. لأنك لا تتغذى من جسد بينما غيرك من جسد آخر، بل الجميع من الجسد نفسه يتغذون. لذلك يضيف بولس الرسول: "لأننا جميعاً نشترك في الخبز الواحد"^{٢٢}.

"كما أنّ هذا الخبز كان مبعثراً فوق الجبال (على شكل حبات قمح) وخُبزَ فصار عجينة واحدة، هكذا اجتمع كنيسةك المقدسة من كلّ الأمم وكافة الأقطار والمدن والقرى والمنازل واجعلها كنيسةً واحدة حيّة جامعة"^{٢٣}. أما رمز الوحدة بين المؤمنين فيشير إليه أيضاً استعمال الخمر: فهذا المشروب مستخرجٌ من حبات عنبٍ كثيرة جُمعت من كروم عديدة منتشرة في أرجاء المعمورة.

المسيح، بتجسده "حمل على ذاته جسد الكنيسة" و"حضر إلى بيتها الخاص فوجدها غير طاهرة، عارية، مضرّجة بالدماء، فغسلها (بالمعمودية المقدسة)، وغدّاها (بالمناولة المقدسة)، وألبسها رداءً لا مثيل له: غذا هو نفسه حلّة الكنيسة وأخذ بيدها ورفعها إلى العلى"^{٢٤}، ويقودها إلى الملك السماوي حيث يجري القداس الإلهي.

الكنيسة مقدّسة^{٢٥}، ليس لأنها اجتماع متفرقين ضمن آداب وأخلاق قدسيّة، وليس فقط لأنّ رأسها قدوس، بل لأنّ أعضائها تقدّسوا في سرّ المعمودية ويحيون القداسة في سرّ الافخارستيا. لا شك أنّ الأعضاء يخطئون^{٢٦} لكن استمرارهم في الافخارستيا منوطٌ بتوبتهم، ويشدّهم إلى العودة عن الخطيئة ليعودوا إلى شركة القديسين^{٢٧}. شركة القديسين إذاً تتحقق في ليتورجيا الافخارستيا.

^{٢٢} يوحنا الذهبي الفم، [EPIE 18A, 86]. انظر: ١ كو ١٠، ١٧.

انظر أيضاً باسيليوس الكبير، [PG 61, 22]. الأب المتوحد غريغوريوس، تفسير القداس الإلهي، تعريب الشماس سلوان موسى، منشورات دير سيدها البلمند البطريركي، طرابلس ١٩٩٩، ص ٧٩.

^{٢٣} سيرابيون، صلاة القرايين، [BEII 43, 77].

^{٢٤} يوحنا الذهبي الفم، [EPIE 5, 210; 33, 388].

^{٢٥} أف ٥، ٢٦-٢٧.

^{٢٦} ١ كو ٥، ١٢.

^{٢٧} أع ٩، ١٣.

II. تشكلّ الكنيسة حول الافخارستيا

١. الافخارستيا والوحدة

إنّ الافخارستيا هي صلة الوصل، بين رئيس الكهنة الأعظم، الحيّ إلى الأبد بحالته كذبيح، وبين المؤمن. ويكون العبور فيها من الخبز إلى الجسد ومن الخمر إلى الدم، كسرّ كنسي، تجديداً للعبور من العالم القديم إلى العالم الجديد الذي اجتازه المسيح، فحيث هو سيكون جسده، الجميع، في الملكوت، الكنيسة. لقد كان طقس الفصح، أسوةً بالخروج، طقسَ تشكيل شعب الله الجديد، المنتقل من العبودية إلى الحرية، ومن الموت إلى الحياة. هكذا تُزوّد الافخارستيا المؤمنَ بالاتصال حتى حسيّاً مع المسيح، وبما أنه لا يمكن للإنسان أن يتناول جسدَ الرب دون استحقاق، تضطرّ الافخارستيا المؤمنَ أن يشارك المسيح سرّ موته وقيامته. هكذا يطهّر المسيح كنيسته ويجعلها جسده وعروسه لا عيب فيها ولا غضن. هكذا حول الكأس المقدّسة يتشكّل جسدُ المسيح الجديد (عروسه الطاهرة).

إنّ وحدة الكنيسة الأولى كانت تتحقق وتفسر في المقام الأول لدى كسر الخبز^{٢٨}. عن هذا الاتحاد في الجسد والدم نتجت وحدة مصير ووحدة حال ظهرت عن طريق المشاركة في الأموال^{٢٩}. هكذا في الافخارستيا يتّحد المؤمن بالابن^{٣٠}، ويتّحد إذاً بأعضاء الجسد الواحد^{٣١}. وتأتي موهبة الرّوح القدس فتختّم فيما بين الأعضاء بختّم اتحاد وثيق^{٣٢}: "يسلم عليكم جميع القديسين، نعمة ربنا يسوع المسيح ومحبة الله الآب وشركة الرّوح القدس مع جميعكم، آمين".

٢. القداس الإلهي والوحدة - عناصر

القداس الإلهي يكشف أنّ غاية الكنيسة هي "شركة المحبة". ويقول الذهبي الفم "لم تتأسس الكنيسة لنكون نحن المجتمعين فيها منقسمين فيما بيننا، بل لنبلغ نحن المنقسمين إلى الوحدة، وهذا يكشفه الاجتماع الافخارستي"^{٣٣}.

عندما يصف القديس يوستينوس الشهيد الاجتماع الافخارستي يشدّد قائلاً: "يوم الأحد يلتئم محفل كافة المؤمنين في المكان عينه، وتُتلى قراءاتٌ من الرسائل والأنبياء، على قدر ما يسمح الوقت... ثم نهض جميعاً ونرفع الصلوات... ثم يجري تقديم الخبز والخمر والماء، ويرفع الكاهن من جديد صلواتٍ وشكراً للرب

^{٢٨} أع ٢، ٤٢-٤٧.

^{٢٩} أع ٤، ٣٢-٥، ١١.

^{٣٠} ١ كور ١٣، ١٣-١٤.

^{٣١} ١ كور ١٠، ١٧.

^{٣٢} ٢ كور ١٣، ١٣-١٤. باسيليوس الكبير، [PG 61, 200-201].

بكلّ ما أوتي من قوة. أما الشعب فيرتل: آمين^{٣٤}. هذه المعية في الليتورجيا تُظهر كيف أنّ الجميع يسرون على الطريق نفسها: المسيح، المؤمنون، والذين مع الكاهن يقدمون الذبيحة غير الدموية، ويؤلفون، ولو كانوا اثنين أو ثلاثة، "جسد الكنيسة، الذي بنفسٍ واحدةٍ وصوتٍ واحدٍ يرفع تضرّعه إلى الله"^{٣٥}.

بتأثسه صار المسيح على مقربةٍ من الإنسان وغداً إنساناً، دون أن يترك العرش الأبوي: "إذ صار ذلك تنازلاً إلهياً لا انتقالاً مكانياً". "وهذا هو المدهش أنه كان يسلك كإنسانٍ، إلا أنه كان يمدّ الكلّ بالحياة ككلمةٍ، وكان قائماً كابن مع الآب"^{٣٦}.

بصعوده يعود الإله - الإنسان إلى العرش الأبوي بعد كهنته لسرّ التدبير الإلهي، يعود إلى الآب لكنه لا يتركنا وحدنا. "عندما صعد إلى السماء ترك لنا بشرته. وبينما ترك النبي إيليا رداءه بعد أن نزعه عن نفسه، فإنّ المسيح ترك لنا بشرته وبها ارتفع"^{٣٧}. بعد صعوده، يستوي الرب مع الآب في السماوات وهو حاضر مع المؤمنين في القديس الإلهي. يتواجد الإنسان مع المسيح في السماء وعلى الأرض في آنٍ معاً: "في السماء أنت لي، وعلى الأرض أتحد بك"^{٣٨}. في السماء أي في أحضان الله الأبوية. على الأرض، أسفل، أي في الأحضان الوالدية للكنيسة. والإنسان يعيش، في السماء وعلى الأرض، فوق وأسفل، داخل محبة الله.

كما سبق وقال المسيح للاثني عشر في ليلة العشاء السري: "إني ماضٍ إلى أبي... بعد قليل لا يراني العالم أيضاً وأمّا أنتم فترونني. إني أنا حيّ وأنتم تحيون"^{٣٩}. "فالعالم" هو الإنسان الذي يعيش بعيداً عن القديس الإلهي، وبالتالي لا يشاهد المسيح، لأنّه غارق في الظلمة. "المسيح بعد صعوده إلى السموات سيغدو غير منظور من كلّ من عنده اهتمام عالمي. أما القديسون فسيشاهدونه"^{٤٠}. وكما حجب الجسد الألوهة في تجسّد الكلمة، هكذا أيضاً في القديس الإلهي^{٤١}: "لأنّ هذا الخبز هو مثل سترٍ يحجب الألوهة داخله"^{٤٢}.

³⁴ BEΠ 3, 198

^{٣٥} يوحنا الذهبي الفم، [EΠE 1, 356]. انظر أيضاً الأب المتوحد غريغوريوس، المرجع السابق، ص ١٢٩.

^{٣٦} أناسيوس الكبير، خدمة المديح، [BEΠ 30, 80].

^{٣٧} يوحنا الذهبي الفم، [EΠE 31, 676].

^{٣٨} يوحنا الذهبي الفم، [EΠE 23, 404].

^{٣٩} يتقدّس مكان القديس الإلهي وزمانه "بالذي يعلو على الزمان والمكان ويفوق كلّ اسم وإدراك" (أكليمندس الاسكندري، [BEΠ 8, 142]). المسيح، وهو في السموات، هو أيضاً معنا في القديس الإلهي. ليس معنا فقط لكنّه يأتي ليقيم فينا: "افتكروا أنتم يا من تشتركون في جسد المسيح، وتتذوّقون دمه، أنكم تتذوّقون ذاك الذي يجلس فوق، المسجود له من الملائكة، والقائم في القوّة التي لا يعرفها فساد". المسيح تناول نفسه بيديه الكليتي الطهارة للكاهن، ومنه لكلّ الشعب، فيغدو المسيح فرحاً عظيماً لكلّ الشعب. (١ كور ٨، ٦، ٢، ١١). انظر أيضاً: الأب المتوحد غريغوريوس، المرجع السابق، ص ٢٢٣).

^{٤٠} يو ١٤، ١٩. كيرلس بطريك الإسكندرية، [PG 74, 264D-265 D].

^{٤١} يوحنا الذهبي الفم، [EΠE 24, 57]، "كما الستر يغطي ويحجب القديسات، كذلك الجسد يحجب الألوهة".

^{٤٢} غريغوريوس بالاماس، [EΠE 11, 406].

القدّاس الإلهي، في كليته، هو بحر نعمة الله ومحبته، ونحن على طول احتفالنا به نتقبّل مواهب النعمة. لكننا في هذه اللحظة إنما نتقبّل معطي الهبات نفسه، أعني المسيح: "لأننا لا نشترك بما له، بل به هو"^{٤٣}.
بالمناولة الإلهية نغدو مزيجاً واحداً بدم المسيح وعجينة واحدة بجسده المقدس. ويقول الذهبي الفم: "أنت تقبّل المسيح داخلك، فتمتزج بدمه المقدس وتُعجن بجسد الرب الموجود في السماء". يمتزج بنا دم السيد الكلّي الطهارة ويحوّل حياتنا. "يجعلها أكثر صلابة ونقاوة، ويقودها إلى الجمال الذي لا ينتهي"^{٤٤}.
المسيح يدخل فينا ولا يقدّس النفس فقط بل الإنسان برمته. فبالمناولة الإلهية "تتحد نفسٌ بنفس، وجسدٌ بجسد، ودمٌ بدم... يا لهذه الأسرار العظيمة! يا لهذا العجب أن يتحد ذهننا بذهن المسيح! أن تصير إرادته واحدة مع إرادتنا، وجسده واحداً مع جسدنا، ودمه واحداً مع دمنا! كيف يغدو ذهننا بحضور الذهن الإلهي! وما ستكون عليه إرادتنا عندما تحلّ الإرادة الإلهية فينا! ماذا سيكون عليه هذا التراب عندما يضطرم بالنار."
"ومناولة السرّ تُظهر المتناولين باستحقاق أهم، بحسب النعمة والاشترك، مشاهون لذلك الذي هو صالح من ذاته، وذلك دون أن ينتقصوا منه شيئاً البتة"^{٤٥}.

أما القديس سمعان اللاهوتي الحديث فيسبّح الرب بعد المناولة الإلهية قائلاً:

"يا مخلص، ما هذه الرأفة؟ إنما رأفة بلا حدود!

كيف ارتضيت أن تجعلي عضواً من جسدي، أنا الدّنس، الضّال والزاني؟

كيف تُلبسني الحلة المذهبة المتألّثة بنور عدم البلي،

فتحوّل إلى نور أعضائي كلّها؟

فإنّ جسدي الطاهر البريء من العيب يتألّأ بنور لاهوتك الملتحم به بحال لا توصف...

وأنا أدرك أيّ قد اتحدتُ بألوهيتك

وصرتُ جسديّ الكلّيّ الطهارة،

عضواً متألّثاً، عضواً قديساً حقاً،

عضواً مشرقاً، شفافاً، وتبراً"^{٤٦}.

هذا الاتحاد البشري - الإلهي، بيننا وبين المسيح، لا يتم بشكلٍ سحرّي. لأنّ الاشتراك في الكأس المقدسة يقتضي البقاء في شركة الكنيسة، من حيث رسالتها وشهادتها وخلقياتها، وهذا ما يشدّد عليه بولس الرسول: "لذلك يا أحبائي اهربوا من عبادة الأوثان. أقول كما للحكماء. احكموا أنتم في ما أقول. كأس

^{٤٣} نيقولاوس كاباسيلاس، [EΠΕΦ 22, 414].

^{٤٤} يوحنا الذهبي الفم، [EΠΕΦ 25, 16; 22, 204].

^{٤٥} نيقولاوس كاباسيلاس، [EΠΕΦ 22, 416]. ميستاغوجيا، ص ٢٠٨.

^{٤٦} SC 156, 176-8.

انظر أيضاً الأب المتوحد غريغوريوس، المرجع السابق، ص ٢٤٢.

البركة التي نباركها أليست في شركة دم المسيح. الخبز الذي نكسره أليس هو شركة جسد المسيح. فإننا نحن الكثيرين خبزٌ واحدٌ جسدٌ واحدٌ لأننا جميعنا نشترك في الخبز الواحد. انظروا إسرائيل حسب الجسد. أليس الذين يأكلون الذبائح هم شركاء المذبح. فماذا أقول إن الوثن شيء أو إن ما ذبح للوثن شيء. بل إن ما يذبح الأمم فإثماً يذبحونه للشياطين لا لله. فلست أريد أن تكونوا أنتم شركاء الشياطين. لا تقدرّون أن تشربوا كأس الرب وكأس شياطين. لا تقدرّون أن تشتركوا في مائدة الرب وفي مائدة شياطين. أم تُغير الرب ألعنا أقوى منه^{٤٧}.

مراتٍ عديدة يتكلم بولس عن صيرورة العديدين واحداً. و"واحد" ليس بالحياد بل بالمذكر (ένας) (رمزاً للمسيح)^{٤٨}.

- إن إدخال دستور الإيمان في القداس الإلهي قبل بدء الأنافورا - التقدمة والكلام الجوهرية، كان تأكيداً على وحدة الكنيسة (بالإيمان) من جهة^{٤٩}، والكنيسة وتحقيقها ذاتها في سرّ الشكر من جهة أخرى، كما حددها القديس إغناطيوس الأنطاكي "أثما الوحدة في الإيمان والمحبة"^{٥٠}.
- إن صلاة الـ "أبانا..." بعد الاعتراف بدستور الإيمان الواحد وقبلة المحبة، وقبل تناول القربان في سرّ الافخارستيا لها هذا المدلول، أننا في الكنيسة نحقق بنوتنا لله في الافخارستيا وأن هذا التبني هو الشرط الأسبق للقربان. الافخارستيا تثبتنا في "التبني" الإلهي لنا، فتكوّن جسد المسيح^{٥١}.
- الحمل والعذراء والقديسون، الكنيسة المجاهدة والكنيسة الظاهرة يتحدون جميعهم معاً على صينية القرايين "الديسك" كحضرة للكنيسة الجامعة^{٥٢}.

٣. الافخارستيا كسرّ ابن الإنسان وعبد الرب

عبارة "ابن الإنسان" هي عبارة ليتورجية^{٥٣}، وأفضل نص يشرحها هو الفصل السادس من يوحنا (تكثير الخبز وإشباع الجموع ثم خبز الحياة). هناك ابن الإنسان يصير خبز الحياة، الذي يبذل نفسه عن الجميع

⁴⁷ Zizioulas, op.cit., pp.143-5.

انظر أيضاً كور ١٠، ١٤-٢٢.

⁴⁸ Zizioulas, op.cit., p.145.

"ليس يهودي ولا يوناني. ليس عبداً ولا حرّاً ليس ذكر وأنثى لأنكم جميعاً واحدٌ في المسيح يسوع" غلا ٣، ٢٨؛ ٢ كور ١١، ٢؛ أف ٢، ١٥.

^{٤٩} شميمين الكسندر، المرجع السابق، ص ٢٠٩.

^{٥٠} إلى فيلادلفيا، ٦، ٢.

^{٥١} راجع الأب المتوحد غريغوريوس، المرجع السابق، ص ٢١٨.

^{٥٢} يوحنا الذهبي الفم، [PG 45, 605].

⁵³ Zizioulas, op.cit., p.146.

ليعطهم "الحياة"^{٥٤}، على شكل أفضل من "المن" الذي تناوله الشعب قديماً (الآباء) ثم ماتوا. هذا هو "ابن الإنسان" الخبز الحقيقي، النازل من السماء. ونلاحظ هنا في النص تشديد يسوع على مفهومين: الأول ضرورة تناول جسده وشرب دمه كشرط لتكون لنا حياةً في داخلنا: "فقال لهم يسوع: الحقّ الحقّ أقول لكم إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم"^{٥٥}. والمفهوم الثاني هو، أن يسوع يُتحدّ في نفسه كلّ من يأكل جسد الرب ويشرب دمه: "من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيّ وأنا فيه"^{٥٦}. هكذا نثبت بالمسيح في الافخارستيا ونحيا به.

إنّ النصّ الإنجيلي لرواية العشاء السريّ في (يوحنا ١٣ - ١٧) هو نص مترابط، يربط بين العشاء وتقديم جسد المسيح ودمه الكريمين لكي "يكون الجميع واحداً" فيه، كما هو في الآب^{٥٧}. لهذا لا يمكننا، بعد مطالعة هذه النصوص الجوهرية في الكتاب، أن نفصل بين الوحدة وبين الافخارستيا. الواضح أنّ الوحدة تتم في الافخارستيا، لا بل عمل الافخارستيا هو تحقيق الوحدة، وإنّ هدف الوحدة هو الاشتراك في الافخارستيا الواحدة.

فبما يختص بعلاقة "عبد الرب" مع الافخارستيا فإننا نلاحظها بوضوح في كلّ النصوص الإنجيلية المختلفة التي تدور حول العشاء السريّ. فرغم تنوع هذه الروايات فإنها جميعها تتفق على بعض الكلمات المهمة، أنّ واحداً يبذل نفسه عن الجميع (ἀντί, περί)^{٥٨}. وهذا الارتباط، أي التفسير الليتورجي لـ "عبد الرب" دخل صلوات وطقوس الكنيسة بشكل واضح منذ القرن الأول. وهذا ما نجدّه في (إقليمس ٥٩، ٢-٤) وفي الـ (Didache - Διαδαχή، ١٠، ٢ و ٩، ٢). إنّ تعليم بولس حول اندماج العديدين في واحد - الواحد^{٥٩}، أو أنّ الواحد هو مكان العديدين، هو فكر يسبق بولس، ويعود إلى لاهوت "عبد الرب"، وأيضاً "ابن البشر" منذ العهد القديم^{٦٠}. لكن المهم هو أنّ هذين اللقبين كانا دائماً مرتبطين بالافخارستيا في حياة الكنيسة الأولى.

^{٥٤} يو ٦، ٢٧.

^{٥٥} يو ٦، ٥٣.

^{٥٦} يو ٦، ٥٦.

^{٥٧} يو ١٧، ١٩ - ٢٤.

^{٥٨} انظر مر ١٤، ٢٤؛ مت ٢٦، ٢٨؛ لو ٢٢، ٢٠؛ كور ١١، ٢٤.

^{٥٩} Zizioulas, op.cit., pp.145-6.

^{٦٠} Pedersen, S., *Israel: Its Life and Culture*, London 1926. Wheeler, Robinson H., *The HEBREW Conception of Corporate Personality*, Berlin 1936, p.49 Johnson, A. R., *The One and the Many in the Israelite Conception of God*, ed. University of Wales Press, 1942. Fraire, J. *Adam et son lignage: tudes sur la "personnalité corporative" dans la Bible*, Brouwer, Paris 1959.

٤. الافخارستيا في فكر إغناطيوس المتوشح بالله

لا تُفهم وحدة الكنيسة ولا كاثوليكيته خارج الافخارستيا الواحدة^{٦١}، هذا واضح في فكر إغناطيوس المتوشح بالله في رسالته لأهل إزمير (٨). وهذا ما يعنيه أنه حيث الأسقف هناك الكنيسة، وذلك من حيث دور الأسقف في إقامة الافخارستيا.

الأسقف هو الذي يترأس إقامة سرّ الذبيحة الإلهية، سرّ الشكر. لهذا لدى إغناطيوس، حيث الأسقف هناك الكنيسة. لأن سرّ الشكر بشكل خاص لا يقوم دون الأسقف.

٥. الافخارستيا والمعبّد

يُشكّل المعبّد - الكنيسة حول قبر الشهيد، حيث كان يجتمع المسيحيون للترنيم وإقامة الذبيحة الإلهية في يوم استشهاده. ولا رباط أوضح من إلزام التقليد لنا دائماً بوضع بقايا قديسين شهداء في الموائد التي ستقام عليها الذبيحة الإلهية. إنّ الشهيد كمعلّمه مات ممثلاً كلّ الكنيسة في شهادتها ووجودها، لقد بذل نفسه أيضاً عن الجميع. هناك كانت تجتمع الكنيسة، ومن هناك تشكلّ المعبّد المسيحي، حيث تجتمع وتتكوّن الكنيسة.

٦. الافخارستيا في الحياة الكنسية

أ. الاعتراف

الاعتراف كسرّ، يسبق الاشتراك مع الكنيسة في الافخارستيا، هو سرّ الغفران والمصالحة مع الله ومع القريب. وهذا تماماً يعني تحقيق إعادة إحياء شركة المؤمن في حياة الشعب كلّ، والمحددة بحسب الإنجيل. الاعتراف يقودنا إلى إعادة الشركة الحقيقية، أي الاشتراك في حياة الكنيسة إنجيلياً، وأهميته بمقدار أهمية الوحدة بين المؤمنين، وهي أولية. هذا الاستعداد وهذا الفحص المتواتر ضروري^{٦٢}. الاعتراف كاستعداد والكأس كاشترك مقدّس بجسد الرب ودمه الكريمين، هما عملاّن لحركة واحدة تطهّر حياة المؤمن وتضمّه إلى حياة شركة القديسين^{٦٣}: "القدسات للقديسين". إنّ الخطيئة هي التي تسبب الشقاق، بينما الطهارة وحياة التقديس تحقق الوحدة، حول الواحد: "قدوسٌ واحدٌ ربٌّ واحدٌ يسوع المسيح لمجد الله الآب".

⁶¹ Zizioulas, op.cit., p.149:

"ليكن معروفاً أن الافخارستيا الشرعية هي تلك التي تقام برئاسة الأسقف أو من ائتمنه الأسقف عليها. حيثما يكون الأسقف هناك الكنيسة، تماماً كما أنه حيثما يكون يسوع المسيح هناك تكون الكنيسة الجامعة".

⁶² ١ كور ٢٩، ١١.

⁶³ باسيلوس الكبير، [PG 58, 651].

إنَّ تصوير الكنيسة بـ "جسد المسيح" عند بولس الرسول، وهذا ما سنراه لاحقاً، يعني أنَّ قوة العضو تنتقل إلى الأعضاء الأخرى، كما وَهَنَهُ أيضاً^{٦٤}.

ب. أبوة الكاهن في الرعية

إنَّ إحدى علامات الوحدة حول الكأس المقدسة في الافخارستيا هي أبوة الكاهن في الرعية، الأمر الذي يظهر عندما يناول الكاهن المؤمن ذاكراً اسمه (يناول عبد الله فلان)، ويدعوه باسمه "يدعو خرافه الخاصة بأسمائها"^{٦٥}. إنَّ الدعوة بالاسم تعني المعرفة الشخصية، وتعني قبول الكاهن لاستعداد المؤمن ولاعترافه قبلاً. وهذه الدعوة من الأب - الكاهن هي بمثابة الختم على ثبات المؤمن في شركة القديسين مع كل الجماعة المتقدمة إلى الكأس في الافخارستيا^{٦٦}.

يلعب الكاهن هنا دور الرب يسوع، الرَّاعي الصالح الذي يدعو الخراف إليه بأسمائها.

ج. القريب قبل القربان

إنَّ وصية يسوع: أنَّ الأخ هو قبل القربان^{٦٧}، هي الطريق العملي اليومي للحفاظ على رباط الوحدة^{٦٨}. إنَّ الاتحاد بيسوع مشروط باتحادنا بالقريب، اتحادنا بالرأس يشترط اتحادنا بالأعضاء. ليست الغاية إذاً صلة فردية مع الله، بل تكوين جسم الكنيسة الواحد، الذي إذا تألم عضو منه تألم الآخر.

٧. الإكليريولوجيا الافخارستية في الإنجيل

- بعد القيامة، لم يعد لجسد المسيح وجود سماوي غير منظور "عن يمين الله" فحسب^{٦٩}، إنَّ يسوع في العشاء السري ترك طريقة جديدة لحضور جسمه المقرَّب كذبيحة بشكل منظور. إنَّ روايات العشاء السري كلها تربط بين العشاء و حدث الصلب^{٧٠}: "هذا هو جسدي الذي يُكسر لأجلكم"^{٧١}، "هذا هو دمي، دم العهد الجديد الذي يُراق من أجل جماعة كثيرة"^{٧٢}. فما سيكون حاضراً منذ الآن فصاعداً في الخبز والخمر، إنما هو جسد المسيح، الذي إذ يتناوله المؤمنون يتحدثون بالرب ويثبتون فيه ويحققون هكذا وحدتهم أيضاً معاً به.

^{٦٤} باسيليوس الكبير، [PG 62, 75].

^{٦٥} الأب المتوحد غريغوريوس، المرجع السابق، ص ٢٤١.

^{٦٦} "إنَّ الرعية كالعائلة حول الأب وكما هي الكنيسة حول المسيح". باسيليوس الكبير، [PG 61, 527].

^{٦٧} مت ٢٣-٢٤.

^{٦٨} باسيليوس الكبير، [PG 57, 251].

^{٦٩} عب ١٠، ١٢.

^{٧٠} هناك أربعة نصوص تورد تأسيس سرِّ الافخارستيا: مت ٢٦-٢٩، مر ١٤، ٢٢-٢٥؛ لو ٢٢، ١٥-٢٠؛ ١ كور ١١، ٢٣-٢٥.

^{٧١} ١ كور ١١، ٢٤.

^{٧٢} مر ١٤، ٢٤.

اختبر بولس الرسول بشكل خاص حقيقة الكنيسة كجسد المسيح^{٧٣}.

ففي الرؤيا عند اهتدائه على أبواب دمشق^{٧٤} عرف العلاقة السرية بين المسيح والكنيسة. لقد انطلق ليضطهد المسيحيين، وإذ ببسوع يقول له: "لماذا تضطهدين! ولقد عرف بولس وخبر من خلال بشارته للأمم الذين اهتدوا، كيف يتحد الإنسان بالمسيح ويصير كياناً جديداً، وذلك بدءاً من سرّ المعمودية، ومن خلال المواهب الملموسة التي كان الروح يظهرها. بنظر بولس كانت هذه الهبات لبنيان جسد المسيح ولوحدته^{٧٥}، "لأننا جميعنا بروح واحد اعتمدنا إلى جسد واحد... وجميعنا سُقينا روحاً واحداً". هذه الوحدة التي التزمناها في سرّ المعمودية تبقى حيّة بواسطة سرّ الافخارستيا، فإننا نحن الكثيرين خبزٌ واحدٌ، جسدٌ واحدٌ، لأننا جميعنا نشترك في الخبز الواحد^{٧٦}. لقد استخدم التقليد الكنسي هذه العبارة البولسية بمعنى مزدوج أولاً للوحدة (بين الأعضاء) وثانياً للافخارستيا كاتحادٍ للأعضاء مع الرأس الذي هو المسيح^{٧٧}. كما أنّ العسكر هم عديدون لكنهم يشكّلون جسماً واحداً في الحرب كذلك أعضاء جسد المسيح^{٧٨}. لذلك الجميع في الافخارستيا يصيرون جسداً واحداً متحدين بعضهم ببعض^{٧٩} ويشعر العضو بالعضو الآخر^{٨٠}.

- في **حادثة تكثير الخبز**، التي ترمز إلى سرّ الافخارستيا، وفي طابعها الليتورجي المشابه للعشاء السريّ، تظهر عقيدة وحدة شعب الله في الاشتراك بالخبز الواحد واضحة، وذلك في مشهد الشعب المجتمع يتلقى من يسوع خبز الأعجوبة الذي باركته يده، هذا يتضمن معنى الافخارستيا الجماعي. إنّ سرّ الخبز (الجسد) هو وسيط الحبّ الأخوي واللحمة والوحدة بين البشر، ووسيط الحياة والحبّ الإلهيين، بفضل تجسد المسيح.

- **يرد مثل الكرمة في إنجيل يوحنا**، بعد كلام يسوع في العشاء السريّ^{٨١}، الذي يشابه بالمعنى فكرة بولس الرسول عن جسد المسيح حيث الجميع يتحدون بالرأس. لهذا في مثل الكرمة ترد كلمة "يثبت (في)" سبع مرات، وهذا ليدل على أنّ الأغصان تؤلّف معه كائناً واحداً، وجسداً واحداً روحياً^{٨٢}.

^{٧٣} كزافييه ليون دوفور، معجم اللاهوت الكتابي، ترجمة الدكتور أرنست سمعان وآخرين، دار المشرق، بيروت ١٩٩١، «كنيسة».

^{٧٤} أع ٩، ٤-٥.

^{٧٥} ١ كور ١٣: ١٢.

^{٧٦} ١ كور ١٠، ١٧.

^{٧٧} باسيليوس الكبير، [PG 61, 250].

^{٧٨} باسيليوس الكبير، [PG 62, 527].

^{٧٩} باسيليوس الكبير، [PG 56, 277].

^{٨٠} باسيليوس الكبير، [PG 48, 1032].

^{٨١} يو ١٣، ١٤.

^{٨٢} يو ١٥، ١-٨. انظر أيضاً دوناسيان ملا اليسوعي، قراءات في إنجيل يوحنا، دار المشرق، بيروت ١٩٩٣، ص ٤٩-٥٠.

- إن اتحاد الكنيسة كجسدٍ بالمسيح كراس، ليس اتحاداً صورياً أو معنوياً، بل هو اتحادٌ عضوي. وهل هذا يتم فقط تاريخياً، أم أنّ سرّ الافخارستيا يحقق ذلك على المستوى الفردي بين المؤمن والسيد^{٨٣}، وبين المؤمنين عامة في تاريخ الخلاص^{٨٤}. إنّ الشركة مع هذا الرأس (افخارستيا) تضمن وحدة هذا الجسد^{٨٥}. إذاً ليس الاتحاد بالمسيح مجرد استعارة، كما في القصة اليونانية عن "الأعضاء والمعدة"، التي يستغلّها بولس في (١ كور ١٢، ١٤-٢٦)، وإثما هو اتحاد عضوي في الجسد الواحد بفضل المعمودية^{٨٦}.

هناك صور تتداخل مع صورة الجسد الواحد، هي:

• صورة العروس التي تصير مع عريسها "جسداً واحداً"^{٨٧}، وكان ثمن هذا الزواج الروحي دمه الكريم (يتم في الافخارستيا).

• كما وصورة البناء الذي ينمو^{٨٨} والجسد الذي ينمو^{٨٩} وفي هذا البناء المسيح هو رأس الزاوية^{٩٠}.

- هناك عدّة نصوص وأحداث لا يمكن فهمها دون التفسير الافخارستيّ والإكليريولوجيّ لها، ومن أهمها: أولاً، كلام يسوع في (يوحنا ٣، ١١-١٣): "الحقّ الحقّ أقول لكم إننا إنما نتكلّم بما نعلم، ونشهد بما رأينا ولستم تقبلون شهادتنا. إن كنتُ قلتُ لكم الأرضيات ولستم تؤمنون فكيف تؤمنون إن قلتُ لكم السماويات. وليس أحد صعد إلى السماء إلاّ الذي نزل من السماء ابن الإنسان الذي هو في السماء". حيث يجري تبديل واضح وصارخ بين ضمير "أنا" و"نحن" بين المفرد والجمع، للفاعل ذاته، وذلك في مقطع افخارستي واضح عن ابن الإنسان^{٩١}.

^{٨٣} أف ١، ٢٢-٢٣.

^{٨٤} كول ١، ١٨-٢٤. أف ١، ٢٣.

^{٨٥} كول ٢، ١٩.

^{٨٦} ١ كور ١٢، ١٣.

^{٨٧} أف ٥، ٢٢-٣٢.

^{٨٨} أف ٢، ٢١.

^{٨٩} أف ٤، ١٢، ١٦.

^{٩٠} أف ٢، ٢٠-٢١.

^{٩١} Zizioulas, op.cit., p.147. Menouol, ph. H., *L' Evangile de jean d' apre's les recherches re'cents*, 1947, p.247.

إنّ استبدال الـ "أنا" بالـ "نحن" لا يُفهم إلاّ من وجهة تفسير إكليريولوجية، حيث في المسيح والافخارستيا تتحقق الكنيسة⁹² لهذا لا يمكن فهم العبارات الإلهية أنّ الكنيسة هي "جسد المسيح" خارج الإطار الافخارستي⁹³، ولا يمكن فهم صيرورة "الجميع واحداً" إلاّ افخارستياً: "هذا هو جسدي"⁹⁴.

خاتمة

لا أجمل من عبارة بولس الرسول التي تلخص سرّ الكنيسة في لاهوته (١ كور ١٠، ١٤-٢٢): "فإننا نحن الكثيرين (عديدين) خبزٌ واحدٌ جسدٌ واحدٌ لأننا جميعنا نشترك في الخبز الواحد". هذا الرباط بين الخبز كصورة للذبيحة وبين الجسد كصورة للوحدة، الخبز كصورة للحمل الذبيح والجسد كصورة للكنيسة، يوضح تماماً أنّ الكنيسة هي "الجماعة" في عنصرة الروح الدائمة، التي تقيم ذكرى موت الرب وقيامته، كلّما أكلوا من هذا الخبز وشربوا من هذا الدم، وذلك مع كلّ ما تقتضيه هذه المشاركة من وحدة مصير ووحدة مسلكية وعضوية في جسدٍ واحدٍ يشعر فيه العضو بالعضو الآخر ويبنيه ويبنى معه.

⁹² Schweizer E., *Gemeinde und Gemeindeordnung im Neuen Testament*, Zurich, Zwingli 1959, §11a.

⁹³ Rawlinson, A. D. J., *Corpus Christi, Mysterium Christi*, ed. G. A. Bell and A. Deissmann, 1930, p.225.

⁹⁴ Craig, C. T., *The One Church in the Light of the New Testament*, ed. Abingdon - Cokesbury 1951, p.21.

المراجع العربية

- الأب المتوحد غريغوريوس، تفسير القديس الإلهي، تعريب الشماس سلوان موسي، منشورات دير سيدة
البلمند البطريركي، طرابلس ١٩٩٩.
- المطران بولس يازجي، السائحان بين السماء والأرض، منشورات مطرانية بصرى حوران وجبل العرب
والجولان ٢٠٠٥.
- دوناسيان ملا اليسوعي، قراءات في إنجيل يوحنا، دار المشرق، بيروت ١٩٩٣.
- شميمن الكسندر، الافخارستيا، تعريب سامر عبود، منشورات النور، بيروت ١٩٩٣.
- كزافييه دوفور ليون، معجم اللاهوت الكتابي، ترجمة الدكتور أرنست سمعان وآخرين، دار المشرق، بيروت
١٩٩١.

المراجع الأجنبية

- Catechism of the Catholic Church*, Geoffrey Chapman, Villiers House, London, 1949.
- Craig, C. T., *The One Church in the Light of the New Testament*, ed. Abingdon - Cokesbury 1951.
- Fraine, J. *Adam et son lignage: Etudes sur la "personalite" corporative" dans la Bible*, Brouwer, Paris 1959.
- Johnson, A. R., *The One and the Many in the Israelite Conception of God*, ed. University of Wales Press, 1942.
- Καρμίρη, Ιω., *Τα Δογματικά και Συμβολικά Μνημεία της Ορθόδοξου Καθολική Εκκλησίας*, τ.Α', Αθήνα 1960.
- Menouol, ph. H., *L' Evangile de jean d' apre's les recherches re'cents*, 1947.
- Pedersen, S., *Israel: Its Life and Culture*, London 1926.
- Rawlinson, A. D. J., *Corpus Christi, Mysterium Cbristi*, ed. G. A. Bell and A. Deissmann, 1930.
- Schweizer, E., *Gemeinde und Gemeindeordnung im Neuen Testament*, Zurich, Zwingli 1959.
- Wheeler, Robinson H., *The HEBREW Coneception of Corporate Personality*, Berlin 1936.
- Zizioulas, John D., *Being As Communion*, St Vladimir's Seminary Press, NY 1997.